# أزمة الهويّة العربية وإعادة إنتاج الهويّة الأوربية في ظل العولمة.

# The crisis of Arab identity and reproduction of European identity in the shadow of globalization

الباحث.بليح عائشة_جامعة زيان عاشور_الجلفة-الجزائر

ملخص :

قضية الهوية في أي مجتمع أو أمّة، هي مُبَرّر وجودها وقيمها وتاريخها وعند ما تتنازل أمة عن هويتها فهي تُفرّط في تاريخها وقيمها ومستقبلها وتفتح الطريق أمام انفراط عقدها، ولا يمكن أن نتحدث عن هوية عربية إلا إذا اكتملت مضامينها بين الثابت و المتغير . فهل الباحثين العرب ركزوا في دراستهم على الثابت من الهوية العربية بحكم أنّها تمثل أصالة التاريخ والخاصية التي تميزها عن بقية شعوب العالم، وتركوا المتغير من الهوية العربية الذي كان أحد الأسباب لمحاولة العولمة تحطيم ثوابتنا.

لقد ساعدت الصحوة الفكرية و العلمية في أوربا من تغيير من الهوية الوطنية لدول أوربا من اجل الرفع من شأنها أمام الدول ولقد خلقت لنفسها هويتين ساعد تاها للظهور كقوة واحدة وترسم لنفسها هوية موحدة ألا وهي "الهوية الأوربية"، ومما ساعدها في ذلك تبني هوية اقتصادية مشتركة إيديولوجية موحدة تحاول من خلالها إذابة الثقافات الفرعية لكل بلد أوربي في ثقافة موحدة أوربية.

Abstract:

The matter of identity in every society or nation reflects its existance, values and history. When the nation abondons its identity, it loses its history, value and future and opens the door to all kind of complexities. We can't talk about the Arabic identity unless we reach for all its constanticies and variables. So, did Arab searchers (sociologists) focused in their studies on the constant of the Arabic identity because it represents the originality of the history and the particularity which specify it from the other nations and left out the variables of this identity which was one of the reasons to try to break its constituants through globalization.

The intellectual and scientific waking in Europe to change the national identity to Europeen countries to risen them in front of the other countries, though they have created two identies to help them appear as one force and draw for themselves one identity which is « the Europeen identity » and what helped them in that to adapt an idiological economical unified identity, they try through it to merge the cultural differences of each country to one unified Europeen culture that holds the slogan of Europeen Identity Citizenship.

## مقدمة:

يعتبر مفهوم الهوية مثله مثل معظم مفاهيم العلوم الاجتماعية و الإنسانية هلامي وواسع ،يحتمل الكثير من المعاني و التفسيرات ،وهي من أكثر المفاهيم تداولا و أكثرها غموضا وتلونا وتشعبا كما تشير إلى عدّة معاني ومفاهيم تضخمت بشأنها المقاربات و الدراسات،وتعود إلى عدّة مجالات من التفكير الثقافي والحضاري ،مثلما ترتبط بالتعدد و التنوع و الاختلاف في صيغها المختلفة ، كما ترتبط بمحددات ومؤشرات ومفاهيم كالذات و اللغة و الثقافة و الحضارة و الأصالة و العُرف و الخصوصية ،فالهوية من بين المفاهيم كثيرة التداول في العلوم الإنسانية وخاصة منها الأنثربولوجية ،و السيوسيولوجيا ، فهي تدرس على مستوى الماكرواسوسيولوجية وتعني بإيديولوجية البلدان و التي وتتبلور في الهوية السياسية كما تدرس على مستوى الميكرواسوسيولوجي كوحدة فعل إجتماعي تشكل هوية جماعة.

والهوية شيء مبني ولا تظهر اعتباطا تبنيه سلوكيات الأفراد وإرادتها في اختيار نمط معين من السلوك تميزه عن البقية ،وبالتالي نحن نُنمها بوعي أو بدون وعي وهي نابعة من ذواتنا وتشكّل خاص تميز جماعة عن جماعات أخرى ومما يساعد على بقائها و استمرارها هو "نحن" أو الجماعة التي تحاول التمسك بالذاكرة الجماعيّة ، كما تتحكم في تشكيلها المناخ و البيئة الجغرافية التي تسهم بشكل كبير في تبني سلوكياتهم تلائم البيئة مثلما أقر ذلك **ابن خلدون** في كتابه "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر " في الفصل الثالث و الفصل الرابع و الفصل الخامس أين أظهر اختلاف أحوال العمران في الخصب و الجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في الأبدان البشر و أخلاقهم **(عبد الرحمان بن خلدون ،ص ،2004)**. كما تشكل الهوية مجموعة من القيم يتبناه الأفراد وهي نوعان:

1- **قيم أدائية:** وهي متغيرة وفتية وهي مرتبطة بالنمو و الاقتصاد وإنماء الثروة .

2- **قيم الغريزية :** فهي قيم باقية مثل قيم النزعة الوطنية **(لورانس،وآخرون ،2009)**.

وما يثبت هويتنا هو مؤشرين هامين السلوك الشفوي و السلوك الجسدي أو الفعلي ويتمحوران حسب انشغالات الأشخاص و الشبكات العلاقاتية و الجماعات حول التكيف مع الأوضاع الراهنة و إنتهاز الفرص.

إنّ مسألة الهوية عندما تطرح نفسها على الشعوب ،فيجب أن يُنظر إليها على أنها تعبير عن الحاجة ،وإعادة ترتيب عناصرها وإعادة إنشاء علاقتها بالمحيط وتتعدد هذه العلاقة بحسب تصنيفاتها التي صنفها الباحثون بين الثابت النسبي و المتغير .فكل أمة تملك هذين الثنائيين الغير منفصلين ،ومن خلال هذين الثنائيين نحاول أن نطرح في هذا المقال كيف ساهم المتغير من هوية أي أمة في العالم في الرفع من شأنها أمام بقية شعوب العالم وجعلتها تفرض سيطرتها عليه ،وكيف ساعد هذا المتغير من الهوية في إعادة إنتاج الثابت من الهوية في دول المتقدمة على عكس الشعوب الضعيفة ،و الدول العربية على وجه الخصوص و التي أظهرت لنا أنها تنمط نفسها من خلال المحافظة على الثابت من الهوية ،وعدم مراعاة على الأقل تقدير أنّ المتغير من هويّة لا محال سوف يعرضها للانكماش وسيطرة القوي على هويتها

الثقافية. ولكن قبل هذا يجب أن نوضح ماهي العناصر الثابتة في الهوية و العناصر المتغيرة لكي نعرف هل هوية الدولة العربية في أزمة أم لا ؟

فالثابت النسبي من هوية أي أمة هي الهويّة الثقافية .و الثابت منها هي العنصر الوحيد الذي يميّز جماعة أو أمّة عن غيرها، و النسبي في تجددها إذ هي تنتقل من جيل إلى جيل بواسطة العلاقات الاجتماعية كما أنها تتميز بالطابع التراكمي.لأن كل جيل يُضيف من عنده شيئا –يقل أو يكثر- إلى التراث الثقافي الموجود على العموم تتحرك الهوية الثقافية على ثلاثة دوائر متداخلة ذات مركز واحد كما حدده محمد عابد الجابري.**(محمد عابد الجابري ،بدون ص،بدون س).**

**1-الفرد:** داخل الجماعة الواحدة قبيلة كانت أو طائفة أو جماعة مدنية ( حزبا أو نقابة ...إلخ) هو عبارة عن هويّة متميزة مستقلة عبارة عن "أنا" ،لها آخر داخل الجماعة نفسها :"أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من الآخر وتتشكل هويّة الفرد داخل المجتمع لما يدرك الفرد نفسيا واجتماعيا لذاته ،و الدراية إلى توحد الذات مع وضع إجتماعي معين أو مع تراث ثقافي معيّن،أو مع جماعة سلالية أو جماعة قرابيّة ،وتضم هذه الهوية الفردية عدد من الهويات مجتمعة قد تكون في حد ذاتها بين القار و المتجدد في شخصية الفرد وهي (الهوية الأسرية ،الهوية المهنية ،الهوية السياسية ،الهوية الدينية ....إلخ) إذ تعتبر كمتغيرات مستقلة تساعد الفرد في بناء هويته الفردية"الشخصية ".

**2-الجماعات داخل الأمة :** هي كالأفراد داخل الجماعة .لكل منها ما يميزها داخل الهوية الثقافية المشتركة فتشكل بذلك هوية اجتماعية ،و التي تعني كذلك مجموعة انتماءات الفرد لمنظومة إجتماعية .كإنتمائه إلى طبقة جنسية ،أو عمرية أو إلى مجتمع محلي بدوي أو ريفي أو حضري ....إلخ لذلك فهي تتيح للفرد التعرف على نفسه من خلال المنظومة الاجتماعية المنتمي إليها ،وتمكّن المجتمع من التعرف عليه. وتكسبه روابط قوية مابين التماهي بالجماعة وإكتساب قيمها ،و بين مفهوم الذات، فالأفراد يسعون إلى الحفاظ عن هوية جماعية إيجابية ترفع من التقدير لذواتهم وتحقيقها، فإنه على حسب **إميل دوركايم** فإنه يوجد

في كل فرد كائن جمعي يتمثل في أنساق الأفكار و الأحاسيس و العادات و الرموز و القيم التي تعبّر عن شخصيّة الفرد وإنّما تعبّر عن الجماعة التي ينتمي إليها.

**3-الهوية الوطنية** :تحلل الهوية الوطنية من مستويين سوسيولوجين حسب إعتقادنا فعلى مستوى الماكروا سوسيولوجي تعد الهوية الوطنية هي الأرض هي الرقعة الجغرافية التي أصبحت معطى تاريخيا التي تجسد الدولة فيها قانونها وتسهر على وحدة الوطن وحماية مصالحه وتمثيله إزاء الدول الأخرى، وعلى مستوى الميكروا سوسيولوجي أي على مستوى وحدة فعل الأفراد ،وهي إدراك الفرد لمكانته في المجتمع وهي عملية التعزيز السياسي و القانوني لدور الفرد في المشاركة الفاعلة في للبناء الاجتماعي لمجتمع ما .فالفرد الذي يدرك أنّ مكانته في المجتمع توجد في الدرجة الثانية فمن الصعب عليه أن يكتسب شعورا قويا بالهوية الوطنية .وسوف نوضح فيما بعد عن "الهوية الوطنية للفرد العربي" كيف ساعدت في ظهور الحركات الاجتماعية بحكم التغيرات السريعة الاجتماعية و الاقتصادية التي أضرت بهويتهم الوطنية .

-أما الثنائية الثانية من هويّة أي أمة و التي هي في تغيّر وتجدد دائمين وتتغير نتيجة عوامل داخلية أو خارجية وتساعد هذه الهوية إمّا في الإنتشار مثلما حدث للقوى المسيطرة في العالم أو الإنكماش مثلما يحدث لدى الدول العربية ألا وهي :

1- **الهوية الاقتصادية** : هي تشمل كل نظام إقتصادي لبلد أو أي منطقة أخرى وتتمثل في العمالة ورأسمال و الموارد الطبيعية .والصناعية و التجارة و التوزيع و استهلاك السلع و الخدمات في تلك المنطقة ،وتعد هذه الهويّة الاقتصادية لأي بلد مؤشرا لدرجة تقدمه أو تخلفه في العالم ، ولقد تجاوزت بعض بلدان العالم في أن تكون لها هوية إقتصادية وطنية إلى محاولة إشراك ودمج إقتصاديات دول في خلق اقتصاد موحّد مثل الاتحاد الأوربي المشترك ،ونجح فيه كذلك السوق أوربية المشتركة و التي تعد شكل من أشكال التقدم الاقتصادي .

2- **الهوية السياسية** : "الأيديولوجية " وهي فكرة سياسية تتبناها النخبة الحاكمة لتسيير البلاد وهي عبارة عن سلطة تمارس على الفرد و على الجماعات عن طوع أو إكراه .وهي تميّزها عن بقية

البلدان مما تشكل بذلك هويّة سياسية خاصة بها وتسهم هذه السياسة في الحفاظ على كل الهويات الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية .

- فلكي تتشكل هويّة دولة ويتنبأ لها بالاستمرارية يجب أن تكون متوازنة بين الثنائيين الثابت والمتغير، هذا الاختلاف الذي نعاني منه كدول عربية وبين دول غربية وأوربية بالتحديد ،و التي جعلت نظرة مفكرينا ونخبنا تدعوا إلى الحفاظ على الهوية الثقافية و الحفاظ على الثابت منها دون مراعاة أنّ الهويّة الاقتصادية و الرفع من اقتصاديات بلدننا العربية يعتبر كدرع أمام العولمة الثقافية وبين التغيير في الثابت من الهويّة مثل ما حدث عند الأوربيين منذ عصر النهضة و الذي أظهر إتحادا أوربيا . و يتجلى في إعتقادنا أنّ خوف المفكرين الأوربيين من العولمة إلاّ من الهيمنة الاقتصادية الأمريكية أكثر منه العولمة الثقافية و التي إعتبروها كقوة منافسة أكثر من أنها مسيطرة على مصير بلدانهم ،لأنّ أوربا كانت بابا مفتوحا وتظل أمام الهجرات من كل أنحاء العالم .وهم يحاولون السيطرة على ثقافة الأقليات من الأفراد المهاجرين بإعطائهم صفة المواطنة وتُسلط عليهم السياسة اتجاههم لكي تذوب هويتهم الثقافية الأم داخل أوربا ،ولكن أرجع وأقول في إعتقادنا هل الأوربي الحالي متخوف من هيمنة الثقافة العربية الإسلامية عليه أم من هيمنة الثقافة الأمريكية ؟

من خلال هذا التصور نحاول أن نعرف المجتمع الأوربي ماهي نظرته للعولمة التي في الأساس بوادرها إنطلقت من عنده أثناء الثورة الصناعية و التي سمحت له بإعادة إنتاج هويته (الثابت) منها لكي يظهر المتغير .ويظهر لنا إتحادا أوربيا مشتركا برغم الاختلافات التي تسوده .

**إعادة إنتاج الهوية الأوربية:**

لقد أحدثت الثورة الفكرية ضد السائد و الثابت التي بدأت تجتاح أوربا أواخر القرن الخامس عشر، وأسفرت عن نهضة حقيقية أحدثت انقلابات جذرية في مختلف ميادين الحياة الاقتصادية و السياسية والاجتماعية و الثقافية و العلمية حتى عرّفها **غاستون باشلار**"بإجراء القطيعة مع الماضي"، فالعقل

الأوربي الذي تحرر من قيوده وجموده ،انطلق مسرعا ليفتح كل الأبواب التي كانت مغلقة ومحرمة عليه ويخضع كافة الظواهر الطبيعية و الروحية و الاجتماعية للتقصي والبحث و الدراسة .وكان من نتائج ذلك أن تطورت العلوم ومناهج البحث العلمي وإنتعش الفكر مثيرا قضايا ذات طابع إنساني عام ،ونَشطت الحركة الثقافية محطمة أسس الإبداع التقليدية في الأدب و الفن ،وأسّس لهذه الثورة الفكرية التي قلبت مفاهيم البشر وحياتهم ،ليس في أوربا فقط بل في العالم كله ثلاثة منطلقات نظرية رئيسية تمثلت في "حركة الإصلاح الديني" و"الفكر الليبرالي" و"الفلسفة الماركسية"، وقد جاءت مع حركة الإصلاح الديني التي قادها **مارثن لوثر** ضد سلطة الكنيسة الكاثوليكيّة المطلقة ،وقد قادت حركة الإصلاح الديني هذه حروب دينية بين الكاثوليك و البروتستانت سادت أوربا طوال القرنيين السادس عشر و السابع عشر ،ومهدت الطريق إلى ضرورة الفصل بين السلطات الدينية و الدنيوية ،و إنتشار أفكار حريّة المعتقد والتسامح الديني ،مما أدت هذه الحركة إلى تعميق مفهوم الحق الطبيعي واستبعاد الدين ،وترسخت تبعا لذلك الليبرالية كعقيدة وفلسفة تناهض السلطات و الأنظمة التي تخضع لغاياتها التفتح الفردي ، وكحركة إحياء لحريّة الفكر لدى "الإنسان الاجتماعي ".ومن خلالها محاولة نشر حضارة الغرب وتعميمها على جميع بلدان العالم المختلفة ،و في المرحلة الثانية إعداد رسالة الوحدة العالمية في ظل نظام اقتصادي عالمي واحد والهيمنة على الغير ،هذه الرسالة الليبرالية التي كانت مبادئها من أوربا ونفذتها أمريكا ببروز وإتساع الشكل الجديد للمنشأة الرأسمالية ،وهو شكل الشركات المتعددة الجنسيات التي ساعدت في ظهور العولمة بشتى أنواعها وبمقتضاها أدت إلى تحوّل الاقتصاديات الحديثة إلى منظومات مندمجة تتلقى داخلها حركية توسيع مبادلات السلع و التكنولوجيا و الخدمات ورؤوس الأموال ووسائل الاتصال عبر شبكات مرتبطة ببعضها البعض ،والتي ساهمت بدورها في تنميط استهلاك أفراد العالم من خلال تجانس الطلب(**تهامة الجندي ،ص،2005**).

إلاّ أنّ دول أوربا الكبرى و بالرغم مما قلناه سابقا أنّ التغيير الاقتصادي و التجاري ظهر من عندها وهذا بهدف السيطرة على العالم إلاّ أنّها لم تتمكّن كدول منفردة فحاولت الاتحاد في شكل الاتحاد الأوربي الذي

يُعد نموذجا للتكتل و الاندماج بين الدول المتجاورة ممّا يشكل قوّة جهوية كبرى على المستويات الاقتصادية و التجارية و السياسية العالميّة . وذلك ما يضمن لأوربا الاستقرار و السلم ومواجهة تحديات العولمة وتتحكم مجموعة من العوامل في سعي الدول الأوربية إلى الإتحاد و التكتل فيما بينها بُغية تحقيق الاندماج وهي عوامل متداخلة ومتكاملة: **( groupe des recherches.p7-33,2005 )**

**1-العوامل الجغرافية** :الانتماء إلى قارة واحدة تتشابه وتتكامل فيها الظروف الطبيعية .

**2-العوامل التاريخية** :معايشة أحداث مشتركة (حروب وأزمات ) ومواجهة مصير مشترك.

**3-العوامل السياسية** : يبني النظام الديمقراطي القائم على مبادئ الحرية و الحقوق الإنسانية ونهج سياسة تنظيمية محكمة لتسيير الإتحاد وفي كل المجالات الحيويّة .

**4-العوامل الاقتصادية** : اعتماد نظام ليبرالي الحر و احترام المنافسة بين الأطراف.

**5-العوامل الاجتماعية** :ارتفاع المستوى الثقافي لدى السكان ،مما يشجع على الوعي بضرورة التكتل والاندماج بين الدول الأوربية و السعي إلى انتشار أوربا الاجتماعية ( ضمان التشغيل و العيش الكريم الاجتماعية)، ومحاولة إذابة مفهوم الهوية الوطنية وحل محلها الهوية الأوربية في أذهان المواطنين.

وفي اعتقادنا قد ساهم المتغير من الهوية التي قامت أوربا كإتحاد إلى السعي للحفاظ على هويّة الدول الأوربية خصوصا الغربية منها بالرغم من تنوّعها الثقافي ، ضف إلى ذلك السؤال الذي يطرح نفسه بإعتبار أنّ هذه القارة تُدعى بالقارة العجوز فهي طالما فتحت أبوابها للهجرة ووفود المهاجرين إليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،فكيف بقت محافظة على ثقافتها ؟ و بالتالي حسب إعتقادنا سياسيتها إتجاه المهاجرين ساهمت في إعادة إنتاج هويتها الثقافية ، بما يساعدها كدول من أجل الحفاظ على رواسبها المتبقية من طقوس وعادات سلوكية . فتسعى فرنسا مثلا لفك إرتباط المهاجرين بثقافتهم الأصلية والسعي لاستيعابهم وتذويب هويتهم الأم في بوتقة الثقافة الفرنسية الوطنية ،أمّا في بريطانيا من خلال المواءمة المتبادلة بين المهاجرين وبلدهم يُنتج التنوع الثقافي و التنوع العرقي.

إلاّ أنّ تفاعل المهاجر العربي المسلم داخل المجتمعات الأوربية يرتبط نتاجه في النهاية بمدى استعداد المهاجر للإندماج وما تسمح به الأوضاع و الظروف في بيئة الدولة المضيفة من عوامل ميسرة لهذا الإندماج أو المعرقلة.

إنّ الدول الأوربية كدول و ليست كإتحاد تتخوف من فقدان هويتها في وقتنا من جانبين اثنين:

-**الهيمنة الاقتصادية لدول الكبرى في العالم** :فهي تسعى جاهدة إلى الظهور للعالم كقوة مسيطرة تفرض سلطتها على شعوب العالم الثالث ،وتكون منافسة لهذه القوى وبالتالي عمدت الدول الأوربية للتطوير من المتغير من الهوية من أجل الحفاظ على الثابت من هويتها التي تُنقل إلى بقية العالم من خلال الاقتصاديات و التدفق التكنولوجي السريع .

-**التخوف من التغير في الهوية الدينية** :لشعوبها خاصة اتجاه الدين الإسلامي ففرنسا مثلا معارضة إنضمام تركيا إلى الاتحاد رغم قبول تركيا شروط الإتحاد و برغم من أنّها تملك دستور علماني إلاّ أن فرنسا متخوفة من الهوية الإسلامية لتركيا .

ضف إلى ذلك سياسة الإضطهاد التي تظهر بين الفينة و الأخرى ضد العرب و المسلمين في بلدانهم مما عمد من خلال تكنولوجيات الإعلام إلى تشويه مفهوم الإسلام و المسلمين في أذهان مواطنها ،هذا ما يجعل الدول الأوربية متخوّفة من تغير ملامح هويتها.

وأخيرا و ليس آخرا المطالبة في التغيير الثابت من هويتهم في عصر التنوير وصدور فكرة التغيير من ذواتهم ساهم في بقاء أوربا كقوة عالمية منافسة ومصدرة لثقافتها في إطار الهيمنة الإقتصادية على الدول المستضعفة و الدول العربية بحكم التبعية الإستعمارية .

**أزمة الهوية العربية :**

إنّ إدراك ضرورة تحديث الحياة العربية من جراء صدمة اللقاء مع الغرب قد آذن بولادة مرحلة جديدة من مراحل الوعي التاريخي لدى العرب ،وهو ما عبّر عن نفسه بتسمية الحقبة السابقة لهذا التحول بعصور الانحطاط والحقبة اللاحقة بعصر النهضة وهي المرحلة التي بدأت منذ أوائل القرن التاسع عشر

بظهور أفكار الإصلاح الديني و السياسي ،وبلورة النواة الفكرية التي إنطلقت منها الإتجاهات الرئيسية لمشاريع التحديث في المنطقة العربية مع بدايات القرن العشرين ،وقد تم تداول مفهوم الإصلاح أول الأمر على أنّه إصلاح حال الولايات العربية في ظل السلطة العثمانية مع إستعادة العرب لدورهم المركزي فيها وهي الأفكار التي طورها **جمال الدين الأفغاني** ،وتبلورت في فكرة النهضة الشرقية ومع تنامي الشعور القومي أخذ مفهوم الإصلاح يرتبط بالاستقلال وبناء الدولة العربية وأخذَ مصطلح النهضة العربية يحل محل النهضة الشرقية ثم جاء **عبد الرحمان الكواكبي** وركّز جُهده على بلورة فكر قومي ،يوحد الأمة العربية ويحررها ممّا هي فيه ،وقد رأى أنّ عوامل تشكل الأمة :الجنس و اللغة و الوطن و الحقوق المشتركة ،أما الدين فليس عاملا من عوامل تكوين الأمم ،ولذلك فقد دعا إلى الإتحاد الوطني دون الديني و الوفاق الجنسي دون المذهبي و نادى بضرورة فصل السلطتين الدينية و المدنية وبعدها ظهرت حركات تنادي بنهوض الأمة العربية بإيديولوجية دينية مثل ما عبرت عنه الحركة الوهابية ،ثم ساد الشارع العربي التيار القومي الإشتراكي في فترة الخمسينيات ،ثم تبني الليبراليون النظرية البرجوازية في بناء القومية العربية ، وكان يعني التحديث لهم الأخذ من ثقافة الغرب وعلومه وإخضاع التراث نفسه لأساليب الدراسة الغربية وتمحيصه وتدقيقه ،وفيما بعد ظهرت نظريتان للوحدة العربية: الأولى قالت بالدمج والإتحاد السياسي أولا ،أي إقامة رئاسة واحدة أو سلطة تنفيذية وتشريعية وقضائية ،تعالج جميع القضايا السياسية و الاقتصادية و المالية و العسكرية و الاجتماعية و الأساسية التي تواجه الأجزاء المساهمة في الوحدة ،أما النظرية الأخرى فقد نادت بالإتحاد الاقتصادي أولا ،أي التنمية الاقتصادية أو الوحدة الاقتصادية كطريقة للوحدة العربية الشاملة **( تهامة الجندي ،2005)**.

الملاحظ لهذه الحقب الزمنية التي حاول نخب الأمة العربية في خصم سياقها الزمني من توحيد وإعلاء هذه الأمة في مصاف الدول الكبرى ،إلاّ أنه قد أظهرت لنا أنّها تخبطت ولا تزال هذه النخب المثقفة والسياسية في الوطن العربي في إختيار ايديولويجية تتناسب وأوطانها بعيدة عن العلمانية كأحد أقصى من أجل الحفاظ على هوية أوطانها ،مما سهام في تهميش الفرد العربي وتغريبه عن ذاته وعن مجتمعه،

وساهمت في تهجير الكفاءات العلمية التي يعول عليها الكثير لو أُلتفتَ إليها فقد ساهمت في بناء الدول الغربية بدل الدول العربية ،وأسفرت في توليد أزمة من داخل أوطاننا فسهلت للعولمة في التأثير على جميع هويتنا الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الثقافية .فنحن قد هيأنا الأرضية لذلك.

**أزمة من الداخل :**

**1/الأزمة الاقتصادية والسياسية :** إنّ من الفوارق الرئيسية بين مشروع الوحدة العربية ومشروع الوحدة الأوربية أنّ الأولى تؤسسها وحدة اللغة و الثقافة ، بينما تركز الثانية على الإقتصاد و المصالح أساسا ومعلوم أنّ الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنّها نتيجة تراكم تاريخي طويل فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار حتى ولو توفرت الإرادة السياسية ،أما الوحدة الاقتصادية فهي بالعكس من ذلك لا تتطلب تراكما تاريخيا بل يكفي فيها قرارا نابع من إرادة سياسية يُطبق عبر مراحل معينة من هنا نتساءل ماهي المشكلة الجوهرية المرتبطة بمسألة الهوية العربية-الإسلامية – و الهوية الغربية ؟ في هذه المقارنة أرجع المفكر **محمد عابد الجابر** أصل مشكلة الهوية العربية إلى الإرادة السياسية وإلى الأزمة الديمقراطية ...وإلى الإستعمار وسياسية التبعية ،فإنّ أخطر ما يواجه القائمين على استنهاض الثقافة العربية الشعور بالدنيوية"الدونية " و الاستسلام التبعي لمنتج الثقافة الغيرية و الرضى بأن نكون مستهلكين غير منتجين ولا فاعلين في صناعة ثقافتنا**( محمد عابد الجابري ، 2006)** .

- إنّ ثنائية المتغير من الهوية العربية لا نجد لها أثر في أوطاننا حتى وإن بدأت بوادر التنمية الاقتصادية والانتعاش الاقتصادي في بلداننا كأوطان وليس كاتحاد إلاّ أنّ السبب في ذلك هو المؤسسات الكبرى صندوق النقد الدولي و المنظمة التجارة العالمية التي أملت شروطها على هذه البلدان العربية من أجل الانضمام إليها وإدخال إلى بلداننا سياسة فرق تسد التي من خلالها جعلت النخب السياسية بوعي أو بدون وعي قبول دخول شركات متعددة الجنسيات إلى أوطانها وتحول سيطرة سلطة الدول داخل البلد الواحد إلى يد المؤسسات الاقتصادية و المالية و الدولية ،و التي تحمل في طيات منتجاتها قيم ثقافة بلدانها

التي نحن كمواطنين نقف منبهرين ومستهلكين لها وبالتالي محاولة تغيير من نمط عيشنا الذي يُعد فيما بعد مورثا لأجيالنا القادمة .

إنّ أثر العولمة الاقتصادية على السياسة الاقتصادية للبلدان العربية يَظهر بشكل واضح من خلال الأسواق و التطورات التقنية ،ونشير هنا إلى ظاهرة التدفق الحر لرؤوس الأموال مما جعل الدول العربية تفقد سيطرتها على مستوى صرف عملتها وعلى التدفقات النقدية من البلد وإليها .

-إنّ التغيير الذي لاينبع من ذواتنا يجعلنا أمة مستهلكة أكثر منه منتجة ممّا يُسبب فيما بعد إلى هيمنة العولمة السياسية على أوطاننا وقد بدأت تؤثر في عمق السياسات الوطنية في جميع الميادين .ممّا أدى هذا التأثير و التدخل إلى تآكل واندثار مفهوم السيادة الوطنية ،مما جعل الحكومات تفقد من قدرتها على صُنع سياستها الوطنية و الخارجية مستقلة.

**2/أزمة الهوية الوطنية " مفهوم المواطنة " وظهور حركات اجتماعية:** إنّ القيم و الأهداف التي سادت الجزائر منذ إندلاع الثورة إلى غاية اليوم ،كانت تتغنى بشعار الوطن قبل المواطن وتمجيدها للجماعة وقيمها ،حيث وجد المواطن نفسه مجبرا على التضحية بنفسه وممتلكاته في سبيل الاستقلال أوّلا ثم تسخير نفسه ومجهوده لإخراج الوطن من التخلف و التبعية ،وكان الدافع في تحفيز المواطن هو إعتقاد ديني أو أيديولوجي سياسي ينطلق من قصور الحزب الواحد في الجزائر ،ولكن الدافع بدأت تتلاشى بمر السنين وبظهور تناقضات في المجتمع الجزائري وكشف المواطن بأنّ شعار "الوطن فوق الجميع" وغيرها من الشعارات الأخرى هي عبارة عن تزييف الوعي الجماهيري ،حيث تَكشَّف للمواطن أنّ بغض القيادات الحاكمة المتغنية بِمثل هذه الشعارات نفسها التي تستعمل الوطن لتحقيق مكاسب شخصية الأمر الذي ولد تخوفا لدى المواطن من مصيره خصوصا في ظل المؤشرات الإستقلالية **(سعد الحفيظ مقدم ،بدون ص ،بدون س)**.

إن سبب ظهور الحركات الاجتماعية في بلداننا العربية عندما يرتفع إنفعال الغضب و العداوة لدى مواطنين كأفراد ينخفض الشعور بتحقيق الهوية الوطنية و ترتبط مشاعر الغضب و العداوة بشعور

الفرد بالإحباط و الحرمان من إشباع حاجاته و تتأثر الهوية الوطنية في تحقيقها بإدراك الفرد لمكانته في المجتمع ، فالمواطن أو "الفرد" الذي يدرك أن مكانته في المجتمع توجد في الدرجة الثانية من الصعب عليه أن يكتسب شعورا قويا بهويته الوطنية ، و الفرد المواطن قابل للتعرض للأذى نتيجة لضغوط التغيرات السريعة الاجتماعية و الاقتصادية التي تضر بهويتهم الوطنية و حين يتغير إتجاه الفرد في الحياة ، و حين تضطره الظروف إلى ذلك فقط يستجيب في أغلب الأحيان بالتمرد أو الإنحراف بخاصة إن لم يحقق إرضاء و إشباع دوافعه الأولية و حاجاته الثانوية ، لا سيما إذا واجه في تفاعلاته بين ما إكتسبه مثلا خلال تكوينه المعرفي و العلمي و الأكاديمي... وبين ما يفرضه الواقع المعيش مما يفاقم حدة الصراع الذي يعيشه المواطن و يضعه أمام حالة من الشعور بفقدان المعايير.

**3/أزمة القيم لدى الشباب العربي :**

إن التغيرات الاجتماعية و الثقافية المتسارعة اليوم تجعل الشباب العربي يعيش صدمة ثقافية بالغة الخطورة و الأهمية وهي التغيرات التي تضع الشباب في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة يتوجب عليه أن يمثلها مما يؤدي إلى إحداث خلل في تكيف الشباب و انهيارهم. و تولد لديهم أزمة قيم ، و نحن حصرناها في نوعين من القيم "القيم الأخلاقية و الدينية" هذه الأزمة التي جعلت من الشباب العربي تؤثر عليهم القيم الغربية من خلال عولمت محيطهم الثقافي و الاقتصادي و جعلتهم يتبنون قيم برغمانية و قيم ثقافية جديدة تحاول من خلالها زعزعت الموروث الثقافي في أذهانهم.

و بالتالي يظهر تأثير العولمة من تعلُّق فئة الشباب العربي بمظاهرها لوجود فراغ ثقافي لديهم ناتج عن إنعدام التخطيط العلمي لغرس الثقافة العربية في نفوسهم في مقابل وجود أدوات ضخمة للثقافة الغازية متمثلة بالإعلام الأمريكي بكل رموزه ، كذلك يظهر تأثير العولمة الثقافية من الإنتشار الواسع و السيطرة على أذواق الناس في العالم ككل . لقد أدت العولمة إلى صبغ الثقافة العربية بالثقافة الإستهلاكية فأصبح مجتمعنا العربي تستهويه الثقافة الإستهلاكية، و فتحت المجال إلى إنتشار الطابوهات الاجتماعية

أللأخلاقية بعد أن كانت تحوم عليها حرمة الحياء في أسرنا أو حتى في دراساتنا العلمية لأنها بكل بساطة طابوهات اجتماعية.

لقد ساهمت هذه الأزمة الداخلية في بلداننا من فتح المجال للعولمة بشتى أنواعها من التأثير في الثابت من هويتنا بسبب عدم وجود قرار اقتصادي و سياسي نابع من بلداننا يكون كدرع أو يساهم في تصدير ثقافاتنا إلى الغير ، بل ساهمت هذه العولمة في بروز مظاهر سلبية لدى المواطن العربي قد تساعد في المستقبل إلى طمس هويته الثقافية.

- شيوع الإتكاليّة و الإعتماد على الآخر من غير العربي في المجتمعات العربية و خصوصا في الميادين الدقيقة.
- تراجع الإنتماء للأمّة و القومية العربية لدى المواطن العربي من خلال إذابة هذا الإنتماء وإستبداله نظريا بالإنتماء للمجتمع الإنساني.
- شيوع الثقافة السطحية المتمثلة بالرقص و الطرب و سيطرة الفنانين و المطربين و الراقصين على حياة الوطن العربي.
- التبعية الثقافية للعديد من المفكرين و المثقفين و الأكاديميين و المؤسسات العربية للثقافة الغربية و لمؤسستها.
- شيوع الإستهتار لدى فئة الشباب العربي و سعيهم وراء إشباع رغباتهم و حاجيتهم المادية والبيولوجية و البعد عن الإبداع و التجديد و التميز في الفكر و الإنتاج.
- إنتشار الكثير من الأمراض الاجتماعية كالخيانة و الزواج العرفي وعقوق الوالدين العلاقات غير الشرعية بين الجنسين. **( محمد صايل نصر الله الريود ،بدون ص ،بدون س).**

وفي الأخير نتسائل **"هل لدينا هوية عربية لكي ندافع عنها ؟"**

نقول رغم شساعة الرقعة الجغرافية بما تحمله من مقومات وموارد ضخمة ،رغم ما نحمله من مصير مشترك تاريخيا (من حروب منذ فجر التاريخ إلى يومنا الحالي) ،رغم ما تجمعنا لغة واحدة ومقوم الديانات

بتعدد أطيافها .إلاّ أنّ العرب أثبتوا لنا كدول لا يستطعون التوحد من أجل حماية هذه المقومات - بل أظهر الكثير من الدول العربية أنها تخشى من التكتل في إتحاد خوفا من إلغاء الهوية و الخصوصية الوطنية – و إن كان الموروث ألإرثي من لبس وعادات وسلوكيات الثنائية الثابتة من الهوية العربية، إلا أنّ هذا الموروث ألإرثي في تجدد دائم حتى وإن طال الزمان ،فمورثنا الذي نتغنى به اليوم هو في الأصل كان سلوكيات جديدة قد دخلت إلى أوطاننا في فترة الإحتلالات بدءا من فترة الرومان إلى فترة حكم الدولة العثمانية، وأخيرا الحركات الاستعمارية الجديدة .

لكي نقول أنّ لدينا هوية عربية يجب أن تكون شاملة للثنائيين الثابت و المتغير من المحيط إلى الخليج ولا تتجسد الهوية العربية في الهوية الوطنية لأنّه إذا ظهرت الهويات الوطنية لكل بلد فسوف يحدث نفي للهوية العربية و تطغى بذلك ثقافة بلد عربي ما على بقية البلدان العربية ،ولكي لا نبقى في حُبسَة زمنية تمجد الموروث ألإرثي بشعارات رنانة . نحاول أن ندافع عليها من خلال تطوير ثنائية المتغير من الهوية العربية وتكتل أوطاننا العربية ضمن أيديولوجية سياسية و اقتصادية موحدة ،لأنه هذا التكامل العربي أصبح حلما يراود المواطن قبل النخب .... !

**خـاتمة:**

إن إستعاب الفرد المواطن في أي بلد في العالم إلى التنوع الداخلي و خصوصياته المحلية تجعل من تراثه وقيمه الدينية و إمكانياته اللغوية و نزعته الوطنية قادرة على تمثل قيم العولمة و تحويلها إلى قيم تتعايش مع قيم هويته الثقافية و تتفاعل معها دون أن تُلغيها ، و بالتالي لم تعد الإشكالية المطروحة تتعلق بمحتمية دخول عصر العولمة أو الإنعزال عنها ، و إنّما أصبحت الإشكالية المطروحة تتعلق بضرورة توفير الأدوات و الآليات التي تمكننا من مواجهة هذه النوعية الجديدة من التحديات.

## قائمة المراجع


1/ ابن خلدون ،عبد الرحمان . (2004) . **ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**. بيروت :دار الطباعة و النشر و التوزيع.

2/ لورانس .ا .هاريزون، صمويل ب .هنتنجتون،<2009> ،**الثقافات و قيم التقدم** ،< **ترجمة الشرقاوي جلال**> . مصر: المركز القومي للترجمة.

3/ محمد عابد الجابري .**العولمة و الهوية الثقافية عشر**.تم استرجاعه http://hekmah.org.2014/4/20.

**أطروحات**

4/ الجندي تهامة .<2005> الإعلام العربي **"قلق الهويات .حوار الثقافات"**،دراسة في علام المنطقة العربية. <ط1>. سوريا :نينوى للدراسات و النشر و التوزيع.

5/ Groupe des recherches.(2006)."**la question de l'identité européenne dans la construction de l'union"**. Compte rendu du séminaire du 4november 2005.France: la commission européenne éducation et culture .

6/ الجندي تهامة . <2005> .**الإعلام العربي "قلق الهويات .حوار الثقافات .دراسة في علام المنطقة العربية** ،<ط1> .سوريا: نينوى للدراسات و النشر و التوزيع.

الجابري محمد عابد. <2006>. **الهوية العروبة و الإسلام...الغرب** . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

8/ مقدم سعد الحفيظ. "**المديرون دراسات فنية اجتماعية في المؤسسات الاقتصادية ".** بن عكنون، الجزائر: مركز البحث في الإعلام 1العلمي والتقني.

9/ الريود محمد صايل نصر الله . **"تأثير العولمة على الثقافة العربيّة"** . الأردن :مجلة دراسات إجتماعيّة.